

تعريف الأسلوب (المنهج) التاريخي :-

- هو الأسلوب الذي يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار ويستخدم في دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن قصير أو طويل فهو مرتبط بدراسة الماضي وأحداثه كما قد يرتبط بدراسة ظواهر حاضرة من خلال الرجوع إلى نشأة هذه الظواهر والتطورات التي مرت عليها والعوامل التي أدت إلى تكوينها بشكلها الحالي .
- المنهج التاريخي هو المنهج الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ولا يقف عند مجرد الوصف وإنما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعد على فهم الماضي فحسب وإنما تساعد أيضا في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل .

المنهج التاريخي و المنهج العلمي :-

من خلال استعراض مفهوم المنهج التاريخي يتبين إن لهذا المنهج وظائف رئيسة للعلم تتمثل في التفسير والتنبؤ أما التحكم أو الضبط المقصود للمتغيرات في وظيفة ترتبط بالتجربة العلمية وتخص المنهج التجريبي أكثر من غيره من المناهج الوصفية والتاريخية . ويثار عادة في هذا الصدد السؤال الآتي هل المنهج التاريخي في البحث منهج علمي ؟ في الواقع تختلف الآراء حول إجابة هذا السؤال فكما أوضحنا فإن المنهج التاريخي لا يعتمد على التجربة العلمية المضبوطة ولا يمكن في التاريخ وعن طريق المنهج العلمي أن نكرر الحصول على حقائق ووقائع علمية معينة كما لا يمكن استخدام الملاحظة المباشرة الدقيقة مما يتييسر للباحثين في مجال المنهج التجريبي الذي يمكن أن نطبق فيه أسس المنهج العلمي إلى أقصى درجة ممكنة من الدقة ومن ناحية أخرى فإن الباحث التاريخي باتباع المنهج التاريخي يمكن أن يصل في ضوء دراسة لإحداث تاريخية معينة إلى ربطها وإدراك بعض العلاقات السببية بينها ولكنه لا يصل إلى تعميمات وقوانين علمية لها نفس الدقة والكفاية العلمية مثل التي يحصل عليها الباحث في مجال العلوم الطبيعية ورغم ذلك فإن هذا لا يمنع الباحث التاريخي من مراعاة تطبيق خصائص وأسس المنهج العلمي في الدراسات التاريخية كلما أمكن ذلك وليست التجربة وحدها أو التوصل إلى قوانين وتعميمات معينة لها خصائص القوانين والتعميمات في العلوم الطبيعية هي التي تفرق بين منهج علمي وآخر غير علمي فهناك خصائص ومعايير أخرى متعددة مثل الدقة والصحة والموضوعية والأمانة الفكرية والقياس الكمي وإدراك العلاقات وغيرها يمكن تطبيقها في المنهج التاريخي هذا فضلا عن إن الدراسة التاريخية تستلزم تناول مشكلات معينة وتحديدها في وضوح ودقة وجمع البيانات وتنظيمها والتحقق منها وإثبات صحتها واستخدام أسلوب فرض الفروض والتحليل والتفسير والتوصل إلى نتائج تساعد في فهم الحاضر وربطه بالماضي وذلك التنبؤ بالمستقبل وهي جميعها تجعل من المنهج التاريخي منهجا علميا ومن المادة التي تتوصل إليها عن طريق هذا المنهج مادة علمية . إلا إن هناك بعض الصعوبات التي تواجه تطبيق الطريقة العلمية في منهج البحث التاريخي أكثر مما في البحوث الطبيعية وهذا يتضح من فحص المصادر ووضع الفروض وطبيعة المصطلحات الفنية والتعميم والتنبؤ فليس للباحث التاريخي إمكانية الوصول إلى نفس دقة

الباحث الطبيعي وذلك لطبيعة الظاهرة المتعامل معها فالباحث الطبيعي يتعامل مع مادة يمكن ضبطها وقياسها وطبيعة تفاعلاتها وما تنتجه من نواتج إنما الباحث التاريخي فإنه يتعامل مع أحداث سابقة ومن الصعوبة السيطرة عليها بإحكام ويمن إعادتها تحت نفس الظروف التجريبية لملاحظتها فضلا عن الصعوبات التي تثيرها المصطلحات الفنية إلا إن صدقها يمكن تحقيقه من خلال النقيدين الداخلي والخارجي المحكمين .

خطوات البحث التاريخي :-

١ - **اختيار المشكلة :-** إن الأصول العامة لاختيار موضع المشكلة المراد بحثها واحدة في كل المناهج واختيار المشكلة يعني اختيار موضوع البحث أي طرح مشكلة تتعلق بالماضي ولها أهمية واقعية وقيمة وجودية وان تكون جديدة في عنوانها ومضمونها تضيف جديدا إلى المعرفة التاريخية كما أن تكون المشكلة بقدر طاقة الباحث على العمل ومدى قدرته على الحصول على الأصول الضرورية وان تكون هذه الأصول قادرة على تقديم ما يوضح المشكلة ويحلها . ويتحدد اختيار موضوع معين للبحث التاريخي في ضوء الإجابة عن الأسئلة التالية أين وقعت الأحداث التي سيدرسها الباحث؟ من هم الأشخاص الذين دارت حولهم أو اتصلت بهم الأحداث والوقائع ؟ متى وقعت هذه الأحداث ولماذا ؟ ما أنواع النشاط الإنساني التي يدور حولها البحث ؟ كما ان تحدد المشكلة أو الموضوع في ضوء فكرة هامة أو عدد من الأفكار أو المعتقدات أو الاتجاهات أو التقاليد الاجتماعية الهامة، وان تحدد تحديدا كافيا يمكن الباحث التاريخي من تحليلها تحليلًا كافيا يسمح بدراستها على صورة جيدة .

٢ - **جمع المادة التاريخية .** إن جمع المادة التاريخية وكذلك دراستها وتحليلها يثير صعوبات خاصة بالنسبة للباحث التاريخي لأنه لا يعيش الزمن أو العصر الذي درسه فهو بعيد عن الأحداث التي يبحثها لذا يعتمد الباحث التاريخي على نوعين من المصادر وهي **أولاً:- المصادر الأولية (الأصلية)** وهي تتضمن 1- ما يقوله الأشخاص الين شهدوا الحادثة أو الواقعة التاريخية 2- والمواد العينية التي استخدمت في الماضي والتي يمكن فحصها إذ يستطيع الباحث عن طريقها أن يفهم الماضي ويعرف كيف كانت أفكار الناس وأنشطتهم وتشمل الآثار وتتضمن الآثار المادية ، المطبوعات ، المخطوطات ، الوثائق (السجلات) وتتضمن السجلات الرسمية ، السجلات الشخصية ، التراث الشفوي ، السجلات المصورة ، المنشورات ، السجلات الميكانيكية . ثانيا :- المصادر الثانوية إي المعلومات المأخوذة عن شخص لم يشهد الحادثة مباشرة بل نقلت له وهنا تكون المعلومات أقل قيمة كلما تعدد وسطاء نقلها وذلك جراء ما قد يصيبها من تشويه وتحريف وتزييف وإضافة جراء النقل وتعدد مراحلها ١ و أن نحصل عليها من المؤلفات أو الصحف أو الدوريات .

٣ - **نقد المادة التاريخية .** تنقد المادة التاريخية سواء أخذت من المصادر الأولية أو الثانوية والغرض من ذلك للتأكد من صدق المصدر وصحة المادة الموجودة في المصدر أو التي ينقلها وتزداد الحاجة إلى نقد المادة التاريخية كلما بعد الزمن بين واقعة معينة ووقت تسجيلها وكلما رأى الباحث احتمالا للتحيز في المادة المسجلة وعلى الأخص في المصادر الثانوية وعملية النقد تتطلب مهارات من الباحث لغرض الوصول إلى حكم تاريخي سليم لبحثه وينقسم النقد التاريخي إلى نوعين هما **1- النقد الخارجي** يرتبط هذا النقد بشكل

الوثيقة والتأكد من صلتها بعصرها ومدى انتسابها إلى مؤلفها وهل تمت كتابة الوثيقة بخط صاحبها أم بخط آخر ؟ هل تتحدث الوثيقة بلغة العصر الذي كتبت به أم تتحدث بمفاهيم ولغة مختلفة ؟ هل كتبت الوثيقة على مواد مرتبطة بالعصر أم على ورق حديث و 2- النقد الداخلي يتصل هذا النقد بمحتوى الوثيقة ودقة ما تحويه من معلومات ومدى الثقة التي يمكن أن ننقها بمعلومات هذه الوثيقة و ما الذي يعنيه المؤلف من كل كلمة أو عبارة ؟ هل كتب عن الوقائع والأحداث بناء على ملاحظة مباشرة أم على رواية مسموعة عن الآخرين هل كتب الوثيقة وقت الملاحظة أو بعدها بأسابيع أو سنين . وبذلك فإن النقيدين يكمل أحدهما الآخر وصولاً إلى حقيقة الوثيقة وصدقها ودقة محتواها .

٤ - **صياغة الفروض التي تفسر الأحداث** . لا تختلف صياغة الفروض في البحث التاريخي عن صياغة الفروض في الأبحاث الأخرى ولكن طبيعة البحث التاريخي تتطلب أن يضع الباحث فرضاً يقوم بتوجيه المعلومات والبيانات ثم يقوم الباحث بتعديل الفرض في ضوء ما يجمعه من معلومات وتساعد الفروض على ترتيب معلومات الباحث في نسق منطقي اذ بدون الفروض تصبح عملية جمع المعلومات عديمة الفائدة حيث يتخبط الباحث في التحليل واستقراء الأحداث المستقبلية . فالفروض في البحث التاريخي تتطلب مهارة فائقة لان الباحث يدرس ظاهرة وقعت في الماضي ولها عوامل متعددة وهذا يتطلب خيالاً واسعاً في تحديد الفروض ويعتبر جمع المعلومات من مصادرها الأولية والثانوية ونقد هذه المعلومات بمثابة عملية إثبات الفروض وتحقيقها بشرط أن تتوفر الأدلة الحسية الكافية لإثبات الفروض . النقد يعطينا حقائق متفرقة ومبعثرة ولا بد من تنظيمها والربط بينها بفرضية تعلل الحادث وتبين مجرياته وتعلل أسبابه وتحدد نتائجه إن طبيعة البحث التاريخي تقتضي حتماً اختلافاً في نوعية الفروض وكيفيةها وتتطلب مهارة خاصة كما إن سمات الحادثة التاريخية وماهيتها وغيابها وكونها وقعت في الماضي لا تتكرر متعددة العوامل متشابكة الأسباب كل ذلك يجعل الفرضية في البحث التاريخي صعبة كما تتطلب من الباحث أن يتميز بصفات من حيث قراءة المعرفة والخيال الخصب الواسع ومهما كان الأمر فإن درجة اليقين التي تنتهي إليها الفروض التاريخية اقل بكثير من درجة اليقين التي يتوصل إليها علماء الطبيعة .

٥ - **تفسير النتائج وكتابة تقرير البحث** . بعد أن ينتهي الباحث من متطلبات الخطوات السابقة يبدأ بتفسير النتائج التي توصل إليها وكتابة تقرير البحث ولا بد أن يكون التفسير منسجماً مع التفكير المنطقي والإبداعي وأن يكون موضوعياً ووفق الأسلوب العلمي في البحث التاريخي أما كتابة التقرير حيث يقوم الباحث بوصف المشكلة التي تطرق إليها في البحث مبرزاً أهميتها ومحدد إياها وموضحاً للأهداف التي يرمي الوصول إليها وتحديد المصطلحات التي يستخدمها في البحث ثم يقوم بعدها بعرض الدراسات السابقة والبحوث والكتابات بعد ذلك يعرض منهجه في البحث والأدوات التي توصل بها وصولاً إلى نتائجه ثم عرضاً وتفسراً للنتائج ويختم بقائمة المراجع التي اعتمدها في بحثه ويتطلب عرض النتائج شكلاً متماسكاً بحيث يبدو البحث وحدة متكاملة كل فصل يؤدي إلى الفصل اللاحق ويعتمد على السابق في نسق جذاب متناسب فيها عن الأسباب والوصف غير المبرر ولذا فهو يكتب بسهولة وحيوية ومنطق دون انتهاك لقواعد البحث التاريخي وذلك عن طريق تنمية مهاراته في النقد والإبداع .

تقويم الأسلوب التاريخي في البحث :-

- ١ - الأسلوب التاريخي لا يعتمد على التجربة بمفهومها العلمي والباحث غير قادر على تحديد ظواهر بحثه التاريخي وضبطها والتأثير عليها فهي حوادث مضي زمنها و لا يستطيع الباحث استرجاعها أو تثبيت وضبط عدد من العوامل المؤثرة عليها فالحقائق التي يتم التوصل إليها غير دقيقة .
 - ٢ - يصعب الوصول إلى نتائج تصلح للتعميم وذلك لارتباط الظاهرة بظروف زمنية ومكانية يصعب تكرارها .
 - ٣ - لا يعتمد الباحث على الملاحظة المباشرة فالباحث يعتمد على مصادر غير مباشرة كالآثار والسجلات والأشخاص . والتي غالباً ما يشك في قدرتها على الاحتفاظ بالحقيقة بعد مرور فترة زمنية عليها .
 - ٤ - المادة التاريخية أكثر تعقيداً من المعلومات والمعارف في مجالات الحياة الأخرى وبالتالي يصعب على الباحث وضع فروض معينة واختبار هذه الفروض فعلاقة السبب بالنتيجة في تحديد الحوادث التاريخية ليست علاقة بسيطة والأسباب متشابكة ويصعب رد النتيجة إلى أحدها .
 - ٥ - لا يستطيع الباحث الوصول إلى كل الحقائق المتصلة ببحثه فالمعرفة التي يصل إليها هي معرفة جزئية تسند إلى أدلة جزئية وليست معرفة كاملة كون إن مصادر المعرفة التاريخية تتعرض إلى التلف والتزوير .
 - ٦ - لا تخضع المادة التاريخية للتجريب وعليه يصعب إثبات الفرضيات وتحقيقها تجريباً فالمصادر التاريخية عرضة للخطأ والاعتماد على ملاحظات الآخرين وأقوالهم .
- ومع كل الانتقادات أعلاه إلا أنه لا يمكن التقليل من أهمية الأسلوب التاريخي كأسلوب علمي في البحث فهو كغيره من أساليب البحث المتعارف عليها بين الباحثين يعتمد المعرفة الجزئية في البحث فهو أسلوباً علمياً كونه يعتمد المنهج العلمي في البحث بداء بشعور الباحث بمشكلة البحث وتحديدها وصياغة فروضها المناسبة وجمع البيانات والوصول إلى النتائج والتعميمات فضلاً على رجوع الباحث إلى الأدلة غير المباشرة من خلال رجوعه إلى مصادره الأولية والثانوية لا يعتبر نقطة ضعف في البحث التاريخي إذا أخضع الباحث معلوماته وبياناته للنقد والتحليل والتمحيص .

المصادر :-

- ١ - العزاوي رحيم يونس ، مقدمة في منهج البحث العلمي ، ط 1 ، دار دجلة ، الأردن ، 2008
- ٢ - جودت عزت عطوي ، أساليب البحث العلمي ، ط 3 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2009
- ٣ - رجاء وحيد دويدري ، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية ، ط 1 ، دار الفكر ، سوريا ، 2000
- ٤ - سامي محمد ملحم ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط 4 ، دار المسيرة ، الأردن ، 2006 ،
- ٥ - جابر عبد الحميد جابر وآخرون ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، 1989